

قراءة تاريخية تحليلية في كتاب الفيلسوف الفرنسي جان بول

سارتر « عارنا في الجزائر »

A historical and analytical reading of the book of the French philosopher Jean-Paul Sartre, "Our Shame in Algeria"

فرحاني عادل 1 ♦ ، فرحاني طارق عزيز 2

المركز الجامعي سي الحواس بركة ، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

المسيلة ، adel.farhani@cu-barika.dz 1

المركز الجامعي سي الحواس بركة ، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية / المسيلة ،

2 farhani.tarekaziz@cu-barika.dz

تاريخ الإرسال: 2025/02/04 تاريخ القبول: 2025/05/25 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص باللغة العربية:

شكل كتاب الفيلسوف جان بول سارتر الموسوم بعارنا في الجزائر إحدى النماذج المهمة والكتابات المرجعية التي فضحت بشاعة السياسة الاستعمارية الفرنسية الوحشية في الجزائر ونددت بالأعمال غير الإنسانية والجرائم الفرنسية اليومية التي اقترفت في حق الشعب الجزائري ، استطاع سارتر من خلاله تشريح صورة الاستعمار الفرنسي في كل أشكاله وأهدافه ووسائله وحاول من خلاله كشف فضائح السياسة الاستعمارية الفرنسية ومظاهرها في الجزائر التي مست كل المجالات السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية ، فجعل منه وسيلة ذات أدلة قطعية لتبليغ رسالته الموجهة خصوصا للرأي العام الفرنسي من أجل مواجهة ما تقتتره السلطات الفرنسية الاستعمارية باسمه من جرائم تجاه الشعب الجزائري والتصدي لها من خلال مساندة ثورته المشروعة التي تهدف إلى مجابهة الإمبريالية واستعادة الحرية والسيادة الوطنية المسلوبة.

الكلمات المفتاحية:

جان بول سارتر ؛ عارنا في الجزائر - الاستعمار الفرنسي ؛ الاستيطان ؛ الجرائم ؛ الحرية .

Abstract: The book of the philosopher Jean-Paul Sartre, entitled Our Shame in Algeria, was one of the important examples and reference writings that exposed the ugliness of the brutal French colonial policy in Algeria and denounced the inhumane acts and daily French crimes committed against the Algerian people. Through it, Sartre was able to dissect the image of French colonialism in all its forms and goals. Through it, he tried to expose

♦ المؤلف المرسل

the scandals of French colonial policy and its manifestations in Algeria, which affected all political, economic, social and cultural fields. He made it a means with conclusive evidence to convey his message directed especially to French public opinion in order to confront the crimes committed by the French colonial authorities in his name against the Algerian people and to confront them. By supporting his legitimate revolution, which aims to confront imperialism and restore freedom and stolen national sovereignty,

Keywords: Jean-Paul Sartre; Our Shame in Algeria; French colonialism; Settlement; Crimes; freedom.

مقدمة:

بعد نهاية الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر واحتلالها بتاريخ 05 جويلية 1830، باشرت السلطات الإستعمارية الفرنسية في تطبيق سياستها الشاملة التي مست مختلف الجوانب، وتنفيذا لأهدافها ومخططاتها لجأت إلى فرض سياسة عشوائية قائمة على مصادرة الممتلكات والأراضي والأوقاف وتشجيع الاستيطان الأوروبي واللجوء إلى هدم المساجد والزوايا وتهجير السكان الأصليين وإخضاعهم لأبشع جرائم التعذيب واستنزاف ثرواتهم لخدمة اقتصاد المتروبول، إضافة إلى طمس هويتهم وثقافتهم واستبدالها بالثقافة الغربية وفرنستها بهدف تحطيم البنى الاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري.

ورغم هذه الممارسات الوحشية إلا أن الإدارة الفرنسية الإستعمارية عملت على تغطية تلك الجرائم من خلال ترويج أكاذيبها المبنية وفق منطق الرسالة الحضارية والمدنية، بهدف شرعنة احتلالها للجزائر وتحييد الرأي العام الفرنسي والدولي عن إبداء تعاطفه مع القضية الجزائرية، غير أن هذه الأكاذيب والإشاعات لم تستمر طويلا وباءت كلها بالفشل نظرا لإستمرارية المقاومة الجزائرية التي أثبتت إلا أن تضع حدا للمشروع الإستعماري واجتثاثه نهائيا من خلال تفجير ثورة أول نوفمبر 1954م، التي ساهمت في التأثير على الكثير من النخب الفرنسية المثقفة التي قامت بدور ريادي في محاربة تلك الأكاذيب والدعاية المفرضة التي مارسها فرنسا لعقود من الزمن.

ومن بين هذه النخب الفرنسية المثقفة التي سعت لنصرة القضية الوطنية ومساندة الشعب الجزائري في ثورته ضد الإستعمار الإستيطاني الفرنسي، نجد في مقدمتهم الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر الذي كرس نفسه لإنقاذ شرف فرنسا الذي لوثته بشاعة الاستعمار في الجزائر، حيث حرص من خلال مؤلفه الشهير الموسوم بعارنا في الجزائر التنديد بمختلف تلك الجرائم التي اقترفت في حق الشعب الجزائري وذلك من

أجل وضع الرأي العام الفرنسي أمام الأمر الواقع ودعوته إلى وضع حد نهائي للمأساة التي تقتربها فرنسا باسمه في الجزائر والتعجيل بإيجاد حل سلمي لها.

-أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في إبراز مظاهر السياسة الاستعمارية التي تبنتها السلطات الفرنسية في الجزائر من خلال ما تتطرق إليه الفيلسوف جان بول سارتر في كتابه ورصد موقفه منها والطرق التي تبناها من أجل إقناع الرأي العام الفرنسي لوضع حد نهائي لتلك الممارسات الغير إنسانية من خلال تقويض الهيمنة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر والتعجيل بفتح باب المفاوضات لتكرس حل سلمي يستعيد من خلاله الشعب الجزائري حريته وسيادته الوطنية.

-إشكالية الدراسة:

أما إشكالية هذه الدراسة فتتمحور حول إبراز قيمة وأهمية كتاب جان بول سارتر الموسوم بعارنا في الجزائر ومساهمته في كشف خطورة السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الممتدة بين 1830-1962م ، وما ترتب عنها من انعكاسات على واقع الشعب الجزائري ؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية:

- من هو الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ؟
- فيما تجلت مظاهر السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر التي رصدها الفيلسوف جان بول سارتر في كتابه " عارنا في الجزائر" ؟
- ما هو موقف الفيلسوف جان بول سارتر من الممارسات الوحشية الفرنسية في الجزائر ؟
- ماهي أهم الحلول التي قدمها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر للسلطات الفرنسية الإستعمارية من أجل إنهاء ما تقتربه من جرائم وحشية في الجزائر ؟

-المنهج المتبع:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية ، فقد اعتمدنا على منهج البحث التاريخي والمنهج التحليلي وذلك لتتبع مختلف الأحداث والوقائع التاريخية التي تضمنها كتاب جان بول سارتر وتحليل ما تطرق إليه من قضايا تتعلق بمسألة السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر مع توضيح موقفه منها.

1- ترجمة لشخصية الفيلسوف جان بول سارتر (1905-1980م):

هو جان بول شارل ليبارد سارتر من مواليد 21 جوان 1905 بباريس ، بدأ حياته الدراسية في أكتوبر 1915 ، بثانوية هنري الخامس بباريس ، وفي 1924 دخل سارتر

المدرسة العليا للأساتذة التي جمعتها بكثير من النخب الفرنسية المثقفة كريمةون أرون ،
موريس مورلو بوانتي ، بول نزان ، وتخرج منها بشهادة دكتوراه سنة 1929م¹.
وفي جويلية 1931 أنهى سارتر الخدمة العسكرية التي دامت مدة 18 شهر ، ليلتحق
بعد ذلك بثانوية لوهافر أين اشتغل كأستاذ لمادة الفلسفة ، لينتقل بعدها إلى ألمانيا في
سبتمبر 1933 ، حيث درس الفلسفة الألمانية بالمعهد الفرنسي ببرلين مهتما بدراسة فلسفة
إدموند هوسرل ومارتن هيدغر ، ليكتب بعد ذلك مقالته الأولى الموسومة بالتخيل تلتها
كتابة روايته الأدبية الغثيان سنة 1938 التي وجدت إقبالا واسعا من القراء والنقاد جعلت
منه يواصل مسيرته في كتابة المقالات والروايات ، ليصبح فيلسوفا وأديبا مثقفا مشهور ،
وفي جوان 1940 بعد الاحتلال الألماني لفرنسا سجن سارتر ونقل إلى محتشدات سطلاق
بألمانيا وبقي بها الى غاية اطلاق سراحه سنة 1941².

أما بخصوص الإتجاه الفلسفي لسارتر فينطلق من فكرة الأنطولوجيا أو علم الوجود
المرتبطة في أساسه بمبدأ الحرية³ ، وفي هذا الصدد يقول سارتر: "إن هدفنا الملموس الذي
هو معاصر وواقعي جدا هو أن نحرر الانسان وهذا له ثلاث جوانب أولا الحرية الميتافيزيقية
من خلال جعل الإنسان واعي وحرا كلية وأنه يجب أن يكافح ضد أي شيء يساهم في
تحديد أو تقييد الحرية ، أما الجانب الثاني فهو الحرية الفنية وذلك بتوسيع اتصالات
الإنسان الحرة مع الافراد الآخرين من خلال الفن ، أما الجانب الثالث فيتعلق بالحرية
الاجتماعية والسياسية بتحرير المستضعفين والأفراد الآخرين⁴.

بالإضافة للفلسفة والأدب وعلم النفس فقد أصبحت كذلك السياسة تسيطر على فكر
جان بول سارتر خصوصا بعد بروز العديد من الأحداث السياسية الهامة التي ظهرت بعد
الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى جانب بداية النشاطات السياسية للحزب الشيوعي
في فرنسا والتي تأثر به سارتر عندما كان طالبا في المدرسة العليا للأساتذة⁵.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية تغيرت حياة سارتر الفكرية وحولته إلى شخصية
في اتجاه آخر ، فبعد سجنه وإطلاق سراحه عاد لباريس وبدأ في نشاطه ونضاله السياسي
سنة 1943 ، من خلال مقاومته للإستعمار الألماني ، حيث شارك في تأسيس فوجا
للمقاومين تحت تسمية الحرية والاشتراكية ، كما حاول الاتصال بالحزب الشيوعي الفرنسي

1 عبد المجيد عمراني ، جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، مصر ، د ت ، ص 11.

2 المرجع نفسه ، ص13.

3 لمزيد من التفاصيل حول الفلسفة الوجودية أنظر ، سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ،
مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1973 ، ص113.

4 عبد المجيد عمراني ، المرجع السابق ، ص16.

5 المرجع نفسه ، ص19.

ليناضل معه لمقاومة ألمانيا غير أن طلبه قبول بالرفض معتبرين أنه عميل وجاسوس يعمل سرياً لدى الألمان ولا يمكن الوثوق به ، وهذا ما جعله يرفض طلبهم سنة 1943 بالعمل معهم رغم اعتذارهم له ورغم طبيعة العلاقة التي جمعت سارتر بالحزب الشيوعي الفرنسي فقد اتسمت تارة بالهدوء وتارة أخرى بالتوتر والانقطاع رغم أن سارتر كان مهتماً بتتبع سياسته وحركته المؤثرة والمتأثرة ، إلا أنه أعلن سنة 1948 عن ابتعاده وانفصاله التام عن الحزب الشيوعي وقام بمهاجمتهم بسبب انعزال خلاياه عن بعضها البعض ، فدخل معهم في صراع دامي مليء بالاتهامات المتبادلة لتقطع علاقته بهم سنة 1956م⁶.

وعموماً فإن التزام سارتر مع الحزب الشيوعي الفرنسي كان التزاماً تعائشياً خصوصاً في الفترة الممتدة بين 1952 و 1954م⁷ ، فبعد حل التجمع الديمقراطي الشعبي لم يعد سارتر يفكر في الانخراط أو الالتزام في أي حركة سياسية فوجه اهتمامه إلى مجالات أخرى كالتاريخ والاقتصاد وإعادة قراءة الفكر الماركسي من جديد⁸.

لقد تطورت أفكار سارتر وكتاباتاته السياسية وتوسعت إلى عدة مجالات خصوصاً مع بداية الخمسينات ، فلم يهتم فقط بالحركة السياسية الفرنسية والدول الكبرى بل إهتم كذلك بالحرب الكورية ، حرب الهند الصينية والثورة الجزائرية⁹.

عاش سارتر نصف حياته مهاناً ومراقباً من طرف السلطات الفرنسية وكان هدفاً لعدة محاولات اغتيال من طرف المنظمة السرية الإرهابية ، وبعد وفاته في 15 أبريل 1980 بباريس قامت ابنته المتبينة الارت كايم بجمع مذكراته ونشرها في كتيب بعنوان يوميات حرب¹⁰ ، كما ترك سارتر مؤلفات ومقالات كثيرة ومتعددة نذكر من بينها: الوجود والعدم¹¹ ، الأيدي القدرة¹² ، الهادية والثورة¹³ ، الاستعمار الجديد¹⁴ مواقف مناهضة للاستعمار¹⁵.

6 في سنة 1945 نشر سارتر أول عدد لمجلته الأزمّة الحديثة شاركت فيها معظم النخب الفرنسية المثقفة كان هدفهم المساهمة في العمل على تغيير المجتمع المحيط بهم وقد انتهز سارتر وزملائه فرصة الدعوة التي قدمتها الحكومة الفرنسية لنقد الأحزاب والجمعيات الانتهازية خصوصاً ديغول وأتباعه حيث وجهوا انتقادات شخصية وعملية لهم ، عبد المجيد عمراني ، المرجع السابق ، ص 24-26.

7 طالب مناد ، الفكر السياسي عند سارتر والثورة الجزائرية ، دار خطاب ، الجزائر ، 2016 ، ص ، 23.

8 عبد المجيد عمراني ، المرجع السابق ، ص ، 21.

9 المرجع نفسه ، ص ، 21.

10 كاثارين موريس ، جان بول سارتر ، تر: أحمد علي بدوي ، ط 01 ، دار آفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة- مصر ، 2011 ، ص ، 46.

11 جان بول سارتر ، الوجود والعدم ، تر ، عبد الرحمان بدوي ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 1966.

12 جان بول سارتر ، الأيدي القدرة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

13 جان بول سارتر ، الهادية والثورة ، تر ، عبد المنعم خفير ، ط 03 ، مكتبة راديو ، 1977.

2- نظرة حول محتوى كتاب عارنا في الجزائر:

كغيره من النخب الفرنسية المثقفة التي أدانت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من خلال ما دونته من كتابات ومقالات ومنشورات رفضت فيها كل ما يحدث في الجزائر وما يمارسه غلاة الاستعمار من عنف وجرائم وحشية في حق الشعب الجزائري¹⁶، حيث لم يقف سارتر موقف المتفرج وذهب هو الآخر إلى إدانة ذلك سواء من خلال المشاركة في التجمعات والمظاهرات أو من خلال مؤلفاته ومنشوراته التي سلطت الضوء على واقع الجزائر المستعمرة وما تعيشه من أوضاع مأساوية نتيجة للسياسة الإستعمارية الفرنسية بها، ولعل أول ما يشد الانتباه هي تلك المقالات التي كتبها سارتر وجمعها في كتاب عارنا في الجزائر والذي جاء في ثلاث فصول وخاتمة¹⁷، تناول سارتر في الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان النظام الاستعماري¹⁸، الأساليب والطرق الحديثة التي يستخدمها رواد الاستعمار من أجل التموهية وتحيد الشعوب المستعمرة والمتعاطفة مع قضيتها لتضليلها عن طريقها وخادعها لكيلا تبقى عقبة في وجهه ومعارضة لمشروعه.

بعد هذا التضليل ينقلنا سارتر إلى تضليل ثاني الذي وصفه بالخلط بين الإجراءات السياسية المحضة وبين ما سبق عرضه كجانب إقتصادي وإجتماعي¹⁹، وبعد تسليطه الضوء على هذه الحيل الإستعمارية يذهب لعرض أهداف ونوايا الاستعمار الفرنسي في الجزائر على وجه الخصوص مشيراً لأبرز مظاهره التي من بينها دعمه للحركة الاستيطانية الأوروبية في الجزائر ومصادرة الملكيات وأراضي السكان الأصليين ونفيهم إلى جانب

14 جان بول سارتر، الاستعمار الجديد، تر، عايدة مطر، سهيل إدريس، ط02، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1966.

15 جان بول سارتر، مواقف مناهضة للاستعمار، تر، محمد معراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2007.

16 للمزيد من التفاصيل أنظر: فرانتز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي، جمال الأتاسي، مدرات للأبحاث والنشر، مصر، ط2، 2015، وكذلك سيمون بير هنري، ضد التعذيب في الجزائر، ترجمة بهيج شعبان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ت.

17 طالب مناد، المرجع السابق، ص 175.

18 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، ترجمة سهيل إدريس، عايدة مطر، ط1، دار الآداب، بيروت لبنان 1963، ص-ص 1-27.

19 طالب مناد، المرجع السابق، ص، 176.

وضعه الكثير من القوانين التعسفية الزجرية ضدهم ، وهذا كله من أجل تثبيت المشروع الفرنسي الإستعماري الذي ندد به جان بول سارتر ورفضه جملة وتفصيلا²⁰.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه بشهادات المجندين²¹ ، فإننا نجده يحلل فيه بعض شهادات المجندين الفرنسيين في الجزائر يكشف فيه الممارسة المطلقة للعنف الاستعماري في الجزائر وقد ألح سارتر من خلاله على الرأي العام الفرنسي بضرورة اطلاعهم على هذا الكتيب الذي يفضح بشاعة الأساليب الإجرامية الفرنسية الإستعمارية في الجزائر والتي اتخذت أشكالاً متعددة مست مختلف الميادين موجها لهم رسالة في نفس السياق من أجل الخروج من المأزق الذي يعيشونه بسبب المناورات التي تمارسها السلطة الفرنسية من خلال تغطيتها على حقيقة افعالها المتوحشة في الجزائر ودعاهم إلى التنديد بذلك واتخاذ موقف يساند القضية الجزائرية وجبهة التحرير الوطني من أجل إقرار السلم في الجزائر وإنهاء الوجود الاستعماري الفرنسي فيها²² ،

أما الفصل الثالث المعنون بالجلادين²³ ، فقد خصصه سارتر للحديث على واقع التعذيب الذي تمارسه السلطة العسكرية والمدنية الفرنسية الإستعمارية في الجزائر باعتداده على كتابات شهود عاصروا تلك المجازر التي إرتكبت في حق الجزائريين والتي كان من بينها كتاب الاستجواب لصاحبه هنري علائق الذي كان أحد ضحايا ذلك التعذيب الذي مارسه الجيش الفرنسي في الجزائر²⁴.

3- مظاهر السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر وموقف جان بول سارتر منها:

من أجل الهيمنة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر لجأت الإدارة الفرنسية إلى اتخاذ العديد من الإجراءات والوسائل للسيطرة على الجزائر وشعبها نهائياً تنوعت في مضمونها وأشكالها وأساليبها ، وقد أشار سارتر في مضمون كتابه إلى مجموعة من تلك المظاهر الوحشية التي مست مختلف الجوانب السياسية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية تمثلت في:

3-1 تشجيع الاستيطان الأوروبي ومصادرة أراضي الجزائريين:

منذ احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 وهي تعمل على ترسيخ دعائم وجودها من خلال السيطرة الواسعة عسكرياً ومدنياً من خلال تشجيع الهجرة الاستيطانية قصد

20 المرجع نفسه ، ص ، 177.

21 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص-ص 28-39.

22 طالب مناد ، المرجع السابق ، ص ، 180.

23 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص-ص 40-59.

24 حول تفاصيل تعذيب هنري علائق أنظر: هنري علائق ، مذكرات جزائرية ، ترجمة جناح مسعود ، عبد السلام عزيزي ، دار القصة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص 233.

تشكيل القاعدة الديمغرافيا لتدعيم القوة العسكرية وعلى الرغم من الظروف الغير الملائمة للهجرة الأوروبية إلى الجزائر ، إلا أن السلطات الاستعمارية دأبت على تشجيع الاستيطان وتسهيل الطرق أمام المستوطنين الأوروبيين وهذا ما يتبين من خلال قرار الجنرال كلوزيل المؤرخ في 20 سبتمبر 1830 الذي يسمح بمصادرة أملاك الوقف والبايلك قصد توزيعها على المستوطنين الوافدين للجزائر ومن أجل تسريع العملية قام هذا الأخير سنة 1835 بدعوة مشردي فرنسا وإسبانيا وإيطاليا ومالطا إلى القدوم إلى الجزائر مانحا لهم امتيازات لإستغلال الأراضي وحرية الإستيلاء عليها في المناطق المحتلة موفرا لهم الحماية وذلك بهدف ميلاد شعب جديد في الجزائر²⁵.

ونظرا لأهمية الاستيطان في تاريخ الحركة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر سعت الإدارة الفرنسية لفرضه بالقوة والعنف والقانون وذلك بهدف إثبات شرعيتها في البقاء والاستمرار مستخدمة في ذلك شتى الطرق والوسائل²⁶ ، فكان من الطبيعي أن ينشأ عن المشروع الاستيطاني المبني أساسا على مصادرة الأراضي واغتصابها من أصحابها الشرعيين ومنحها للمستوطنين الأوروبيين من بين الممارسات الإستعمارية للسلطة الفرنسية في الجزائر والتي وجدت فيها دعامة أساسية لبقائها واستمرارها لمدة طويلة بها ، فلجأت منذ الوهلة الأولى للاستيلاء والاستئثار بالأراضي وجعلتها في قائمة اهتماماتها الأولى²⁷.

وقد تبين ذلك من خلال دراسة البرنامج الاستيطاني بأن المطالبة بملكية الأرض كان أهم انشغال جند المعنيين طوال عشرين سنة الأولى من الاحتلال كونها كانت بمثابة الإطار القانوني والإقتصادي الوحيد الذي مكن الاستعمار الاستيطاني العمل بمقتضاه في القرن التاسع عشر للاستحواذ على تلك الأراضي²⁸.

تواصلت السياسة الإستيطانية في عهد الجنرال بيجو الذي صرح سنة 1841 بضرورة توزيع الأراضي الخصبة والصالحة للزراعة والقريبة من الآبار على المستوطنين وقد كانت سياسته قائمة على اختيار العناصر التي سيتم تهجيرها والأماكن التي سينتقلون إليها حيث

25 عبد الحكيم رواحة ، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1830-1930 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، شعبة التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2013-2014 ، ص26.

26 حياة قنون ، الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الحوار المتوسطي ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، العدد 3-4 ، 2012 ، ص 149.

27 عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962 ، ج 1 ، دار المؤلفات للنشر والتوزيع ، المسيلة ، الجزائر ، ط1 ، 2013.

28 شارل روبري أجرون ، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919 ، ج 1 ، ترجمة مسعود حاج مسعود ، أحمد بكلي ، دار الكتاب ، الجزائر ، 2007 ، ص131.

أنشأ القرى وزودهم بالمعدات المادية وشق الطرق واستصلاح الأراضي وإقامة الحاميات العسكرية وتنظيمهم في شكل مليشيات لحماية أنفسهم والمشاركة في بناء مستوطنات جديدة واستغلال الأراضي المجاورة لمستوطناتهم وقد تم بناء 35 مركز استيطاني وتسلم 105 هكتار وقد وصل تعداد المستوطنين في عهده إلى 46 ألف أوروبي في الجزائر ، وعند رحيله بلغ تعدادهم 190400 سنة 1947م²⁹ ، وفي هذا الصدد يقول سارتر: "إن طبيعة هذا النظام لم يكن تلقائيا عفويا فالحق أن ملكية جويلية والجمهورية الثانية لم تتوصل إلى إدراك ما ينبغي عمله في الجزائر المحتلة ولقد كان هناك فكرة بتحويلها إلى مستعمرة ليسكن الفرنسيين الفائزين فيها وكان يجب يؤمن بطريقة الاستعمار الروماني وعلى هذا الأساس منح الجنود العاملين في الجيش الإفريقي مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع"³⁰.

وقد كان للثورة الاجتماعية بفرنسا سنة 1848 مساهمة في توسيع حركة الاستيطان الأوربي بالجزائر حيث قامت الجمهورية الثانية بتقديم قروض قدرت با 50 مليون فرنك لإنشاء مستعمرات زراعية ومنح امتيازات للمشاريع المصغرة لفائدة العمال الثائرين في فرنسا حيث أرسلت 12000 منهم إلى الجزائر مع توفير كل المغريات لهم من طرف رئيس الجمهورية لويس نابليون وقد بلغ تعدادهم الإجمالي إلى 131 ألف مستوطن بالجزائر سنة 1851 منهم 66 ألف فرنسي غير أن نسبة اشتغالهم بالفلاحة ظلت ضعيفة نتيجة لعدم التأقلم مع المناخ ومعرفتهم لشؤون الفلاحة وتعودهم على الحياة الاجتماعية في المزارع الجماعية وعجز الحكومة على توفير الإمكانات التي وعدتهم بها³¹ ، وهذا ما أثبتته سارتر بقوله: لقد كانت السياسة الفرنسية الاستعمارية ترمي لتوطين الأوروبيين المتسكعين والرعاع بالجزائر وقسنطينة ووهران غير أن الأوبئة ما لبثت وفتكت بهم ، ثم حاولت بعد ثورة عام 1848 بالدفع الى تلك البلاد موجة أخرى من العمال العاطلين والذين كانوا محل إثارة للشعب بفرنسا قدرت ب ألف وقد فتكت بهم الكوليرا مجددا فعادوا أدرأجهم لفرنسا³² وإثر قيام الإمبراطورية الثانية بزعامة نابليون الثالث توسعت حركة الإستيطان وشهدت نشاطا كبير خصوصا في فترة الحاكم العام جاك لويس راندون الذي بنى حوالي 556 قرية استيطانية خلال 1853-1858 حيث استعمل أسلوب مصادرة الأراضي وتفتيت أراضي العرش خصوصا بعد إدراكها لفشل السياسات السابقة في المجال الإقتصادي والاجتماعي

29 عبد الحكيم رواحنة ، المرجع السابق ، ص 27.

30 جان بول سارتر ، المصدر السابق ص 15.

31 عبد الحكيم رواحنة ، المرجع السابق ص 28.

32 جان بول سارتر ، المصدر السابق ، ص 6.

فلجأت إلى اتخاذ فكرة الاستغلال الرأسمالي تحل محل فكرة تهجير الأوروبيين ومساعدتهم على النمط الاشتراكي وبالتالي دخلت الشركات الأوروبية وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة لاستغلال الأراضي بالجزائر³³.

بناء على ذلك إعتمدت فرنسا في ذلك على الكثير من الوسائل دعماً لمشروعها الاستيطاني كوضع ترسانة من القوانين تأرجحت بين الارتجالية والتردد والجور قائمة في أساسها على مصادرة الأراضي³⁴، ومنحها للمستوطنين وتعزيزها بجملة من الإمتيازات والمساعدات بهدف تحويل الجزائر إلى مستعمرة أوروبية خالصة تهدف إلى تثبيت وإنجاح مشروعها الاستيطاني والاستعماري³⁵، وهذا ما يؤكد سارتر بقوله: "لقد عملت السياسة الفرنسية الإستعمارية على اغتصاب الأراضي الخصبة من سكانها الأصليين ومنحها للمستوطنين لتوسيع عقاراتهم تدريجياً على حساب أملاك الجزائريين وذلك من خلال وضع إجراءات كانت أهمها تقوم على مصادرة كل الأراضي بمجرد إثارة المقاومات المسلحة تجاه الإدارة الإستعمارية إلى جانب وضع قوانين عقارية تسمح بتفتيت الملكية الجماعية للأراضي تسهيلاً لانتقالها للمستوطنين³⁶، وبهذه الطريقة الخبيثة أدت إلى إفلاس الجزائريين ومكنت الإدارة الاستعمارية من إتاحة الفرصة للمستوطنين للاستحواذ عليها وقد قارن سارتر ذلك بوضعية الفلاحين في فرنسا الذين عانو من تركيز الأراضي في يد واحدة واحتكار التصنيع مما جعلهم يلجئون لبيع حقولهم واللجوء للعمل في المدن وقد ساهم هذا القانون في الجزائر إلى هدم البناء الداخلي للمجتمع الجزائري³⁷.

فحسب ما ذهب إليه سارتر فقد أصبح المستوطنين الأوروبيين أداة من أدوات الاستعمار تعمل في ازدواج إذ أن لهم وطنهم فرنسا وبلدهم الجزائر الذين يمثلون فيها فرنسا ولا يريدون أن تكون له علاقات بسواها غير أنهم يلجئون إلى معارضة الهيئات السياسية في الوطن الأم التي تنتهج النظام الديمقراطية البرجوازية القائم على الرأسمالية

33 عبد الحكيم رواحنة ، المرجع السابق ، ص 31.

34 من بين تلك القوانين العقارية نذكر: قانون 16 جوان 1851، قانون سيناتونس كونسيلت 22 أفريل 1863، قانون وارني 26 جويلية 1873، قانون 28 أفريل 1887، قانون 16 فيفري 1897، مرسوم 13 سبتمبر 1904، قانون 04 أوت (1926)، للمزيد من المعلومات والتفاصيل حول هذه القوانين أنظر، صالح حيمر، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر (1830-1930)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.

35 عبد الحكيم رواحنة ، المرجع السابق ، ص 31.

36 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 9.

37 المصدر نفسه، ص 10.

الحرّة والتي تضمن حق الانتخاب والإجماع وحرية الصحافة فلا يقر بها إلا لنفسه في بلده الجزائر من دون الجزائريين والسعي إلى تقيدهم من أجل خدمة مصالحه التي تتعارض مع مصالح الجزائريين الذين سيلجئون إلى المطالبة بها ويدعون إلى الانفصال عندما تتوفر لديهم تلك الحقوق وبالتالي وجب إخضاعهم للقوة والهيمنة والتعسف وجعلهم في أدنى المراتب³⁸، ويضيف سارتر قائلاً: "نظراً لأقلية تعداد المستوطنين الأوروبيين في الجزائر مقابل السكان الأصليين لجأوا إلى الاستنجا بجمالية المتروبول فتجدهم يعيشون بازداوجية حب الجمهورية الموجودة في فرنسا من أجل استغلالها في خدمة مصالحهم في الهيئات والمؤسسات السياسية بفرنسا وفي المقابل تجدهم في الجزائر فاشيون متطرفون رافضون لنظام الجمهوري بالجزائر يعدل بين الجميع"³⁹.

ويختتم سارتر نظريته حول سياسة الإصلاحات التي تبنتها السلطات الفرنسية الإستعمارية وحاولت تطبيقها في الجزائر قائلاً: "إن الإصلاح سيحقق من غير شك ولكن الشعب الجزائري هو الذي سيحققه، إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نقدمه للجزائريين اليوم هو مؤازرتهم في جهادهم لتحريرهم وتحرير الفرنسيين من وصمة الاستعمار البغيض"⁴⁰.

3-2 تحويل الاقتصاد الجزائري إلى اقتصاد رأسمالي:

نظراً لأهمية الاستيطان الأوربي والعمل على تطويره ومحاولة فرنسا لترسيخ وجودها وربط اقتصاد الجزائر باقتصاد الوطن الأم وجعلها منطقة عبور تربطها بباقي مستعمراتها في إفريقيا، لجأت الإدارة الإستعمارية الفرنسية إلى تحسين الظروف وتجهيزها وتوفير كل الإمكانيات المتاحة لتحقيق تلك الأهداف فسعت إلى انتهاج أسلوب جديد في السياسة الاقتصادية تجسد في وضع مشاريع كبرى تستهدف الاهتمام بالبنى التحتية المتنوعة من طرق وسكك حديدية وإقامة السدود المائية والموانئ البحرية وغير ذلك من المؤسسات المختلف التي توجه لخدمة المشروع الاستيطاني الذي يدعم استمرار الاستعمار الفرنسي في الجزائر⁴¹، وقد إستقرت العملية والمخططات الاستعمارية في عهد الإمبراطورية الثانية بفضل قيام الصناعة وازدهار التجارة، فإذا الشركات الاحتكارية الاستعمارية الكبرى تقوم في فترات متقاربة ففي سنة 1863 أنشئت شركة استعمارية لتسليف العقاري ومصرف وفي

38 المصدر نفسه ، ص23.

39 المصدر نفسه ، ص24.

40 المصدر نفسه ، ص27.

41 عبد الحكيم رواحنة ، المرجع السابق ، ص88.

سنة 1865 انشئت شركة تسليف مرسيليا وشركة معادن حديدية وشركة عامة لسفن النقل البخارية وفي هذه الفترة أصبحت الإمبريالية والرأسمالية متلازمتان⁴².

ونتيجة لذلك سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على النمط الاقتصادي الموجود في الجزائر وتحويله من اقتصاد معاشي إلى اقتصاد نقدي رأسمالي بغية تحقيق أهدافه المسطرة التي كان من بينها تحقيق الأرباح وجعل الجزائر سوقا لتصريف المنتوجات الفرنسية ونهب ثرواتها الأولية خدمة لاقتصاد الوطن الأم⁴³، وقد نصب جول فيري نفسه ليكون الناطق باسم هذا النوع الجديد من الاستعمار باعتباره من الوجوه التي جسدت أركان الجمهورية الثالثة ودعت إلى القضاء على كل المقاومات المسلحة لإتاحة وإقامة النظام الاقتصادي بعد ذلك وهذا ما يؤكد بقوله: "إن فرنسا التي نقلت جانبا كبيرا من رؤوس الأموال فيها واستثمرتها في الخارج عليها أن تنظر إلى المسألة الاستعمارية من هذه الزاوية، إنها قضية الأسواق بالنسبة لبلاد كبلادنا فهي مضطرة بدافع من طبيعتها وصناعتها إلى تصدير منتوجاتها بكميات كبيرة وعظيمة، فإذا وجدت السيادة السياسية وجدت سيادتها الاقتصادية"⁴⁴.

وموازاة مع اتساع مظاهر السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر التي شملت مختلف الجوانب الفلاحة، التجارة، الصناعة، عملت الإدارة الاستعمارية على إقامة نظام مالي متكامل لتثبيت الاستعمار وتطويره وذلك نظرا للأهمية القصوى التي يمثلها المال والنقد في الحياة الاقتصادية ودورها في التأثير على بقية الجوانب الأخرى⁴⁵، ورغم الأهمية الاقتصادية التي تزخر بها الجزائر إلا أن السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر لم تتبنى أي مخططات لإقامة صناعات كبرى في الجزائر المحتلة باعتبار أن استثمارها لرؤوس أموالها في الجزائر في هذا المجال ينعكس سلبا على واقعها الاقتصادي بالوطن الأم، فلا يمكن لها توظيف أموالها في بلاد تعتبرها متخلفة اقتصاديا ومشكوك في مقدراتها وإمكاناتها التي تفرض وجوب إعداد كل شيء وتجهيزه من جديد وحتى لو تم ذلك بنجاح فما جدوى من خلق منافسة مصطنعة لإنتاج فرنسا نفسها⁴⁶.

بالتالي كان جول فيري وضحا جدا فرؤوس الأموال الجديدة لن تخرج من نطاق فرنسا وإنما هي تستثمر في الصناعات الجديدة التي تصدر كل منتوجاتها إلى البلدان

42 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 6.

43 عبد الحكيم رواحنة، المرجع السابق، ص 37.

44 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 6.

45 عبد الحكيم رواحنة، المرجع السابق، ص 52.

46 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 7.

المستعمرة فكانت النتيجة لذلك إقامة الاتحاد الجمركي سنة 1884 وذلك لتأمين احتكار السوق الجزائرية للصناعة الفرنسية التي يعرقل انتشارها في السوق العالمية الإرتفاع الفاحش لأسعارها⁴⁷، ويذهب سارتر إلى أن المنتوجات الفرنسية الموجهة للسوق الجزائرية لا تستهدف الجزائريين بل المستوطنين بحكم قدرتهم الشرائية والذي تم وضعهم من أجل أن يكونوا المشترين في ما وراء البحار للمنتوجات والبضائع الفرنسية من خلال منحهم الهبات والإمتيازات لهم وتزويدهم بمنتجاته ومنحه ممتلكات الجزائريين ليحافظوا على مكانة فرنسا فيها⁴⁸، وبذلك تحقق السلطة الإستعمارية غايتها بعد التسهيلات التي تقدمها للمستوطنين من أجل إقبالهم على شراء منتوجاتها المختلفة، واستخدامها للجزائريين كيد عاملة بأبخس الأثمان من أجل المحافظة على أرباح المؤسسات الاستعمارية تجاه اقتصاديات فرنسا حين تنخفض تكاليف إنتاجها وبالتالي تم تحويل الشعب الجزائري من ملاك إلى يد عاملة زراعية ضخمة، وذلك بهدف تعزيز مكانة النظام الاستعماري واكتمال حلقاته⁴⁹.

وقد ضحت السلطة الإستعمارية بمطالب الجزائريين وحقوقهم من أجل مواصلة نهبها لأموالهم وثرواتهم وجعل بلادهم سوقا مفتوحا على المنتوجات الفرنسية مستخدمة في ذلك مختلف الوسائل سعيا منها لخدمة مشروعها الاستعماري⁵⁰، فالسياسة الفرنسية لا تقدم خدماتها إلا للمستوطنين باعتبارهم الأداة في تثبيت مشروعها الاستعماري في الجزائر من خلال الامتيازات الممنوحة لهم أو تلك المشاريع الموجهة لتحديث البنى التحتية من أجل خدمة مصالحهم العامة⁵¹.

من هنا يبدو أن هذه الدعائم التي وضعتها الإدارة الاستعمارية كانت ذات أهمية قصوى في الدفع بعجلة الاستيطان وإلى ما ستحققه من نتائج استراتيجية جديدة على

47 المصدر نفسه ، ص 7.

48 المصدر نفسه ، ص 8.

49 جان بول سارتر ، المصدر السابق ، ص 10.

50 كانت نتيجة هذا الوضع السيئ أن زراعة الحبوب ظلت على ماهي منذ سبعين سنة مع أن سكان الجزائر بلغوا ثلاثة أضعاف ما كانوا عليه من قبل وهذا ما جعل من سارتر يتساءل حول إمكانية تقديم الجزائريين تشكراتهم لفرنسا التي جعلت أبنائهم يولدون في جحيم العوز والفقر والبؤس ويعيشون كعبيد محرمون من كل شيء ، كما تسببت تلك السياسة في تراجع الثروة الحيوانية التي يمتلكها الجزائريين بسبب المجاعة التي الحقت بها فأضحت سياسة الاستعمار الزراعية البراقة قد أضحت بمقارنة قرحة في جسم البلاد وأنها تمتص كل شيء وتأتي عليه أنظر ، جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 12-13.

51 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 17.

مستقبل تطور الاستعمار الفرنسي في الجزائر⁵²، وقد روجت السلطات الاستعمارية للأكاذيب من أجل إقناع الرأي العام الفرنسي بأن سياستها التي تمارسها في الجزائر مبنية على منطق الرسالة الحضارية وفي هذا الصدد يقول سارتر: "وهذه الأكاذيب قد يصدقها المواطنون السذج القاطنين في فرنسا أما الفلاح الجزائري فيعلم علم اليقين أن الجنوب الصحراوي لا يزال محروما وأنه أرغم على العيش فيه لأن فرنسا صاحبة اليد العليا البيضاء قد طردته من الشمال واستحوذت على أرضه الصالحة للزراعة"⁵³.

أدت هذه السياسة إلى تدفق الجزائريين البطالين نحو المدن وهجرتهم إلى بلدان أخرى خصوصا نحو فرنسا⁵⁴، التي استغلت ذلك من أجل توظيفهم كعمال بأبخس الأثمان وهذه نتائج الاستعمار البشعة التي لا مفر منها فهو يبدأ باحتلال البلاد ثم سلب ومصادرة الأراضي من ملاكها ليستغلهم بأزهد الأجور دون منحهم أي حقوق تحميهم في العمل فيجدون أنفسهم تحت وطأة الجوع⁵⁵، وقد وضع سارتر للمواطنين الفرنسيين الذي يرون أن الجزائريين الذين يهاجرون نحو فرنسا يغتصبون أماكنهم في العمل بأن نسبة 80٪ منهم يرسلون نصف رواتبهم إلى عائلاتهم وأن مليون ونصف مليون من السكان الذين مازالوا يعيشون في الخيام والأكوخ لا يعيشون إلا من هذه الرواتب التي جاء أصحابها بدافع الحاجة التي كانت نتيجة محتومة من نتائج النظام الاستعماري البغيض الذي أرغمهم على التماس الخدمات في فرنسا التي حرمتها منها في الجزائر⁵⁶.

وحسب المؤرخ شارل روبير أجيرون فقد تمخض عن هذه السياسة الاقتصادية الفرنسية الاستعمارية نتائج وخيمة انعكست سلبا على الواقع الاقتصادي والاجتماعي للشعب الجزائري وقد تمثلت في:

- تزعزع نمط الاقتصاد التقليدي بفعل الاحتلال الفرنسي وانتقاله إلى نمط اقتصادي نقدي قائم الربح والتسويق.
- تمت مصادرة الأراضي وحشر السكان.
- تأسيس الملكية الفردية ودعمها بمشاريع وأطر قانونية.
- الاستحواذ على الغابات ونقل ملكية إلى الدومين.

52 عدة بن داهة ، المرجع السابق ، ص 250.

53 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 13.

54 للمزيد من التفاصيل حول هجرة الجزائريين أنظر ، عبد الحميد زوزو ، الدور السياسي للهجرة الجزائرية إلى فرنسا بين الحربين 1939-1914 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

55 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 15.

56 المصدر نفسه ، ص 16.

- تراجع التجارة الداخلية والخارجية وأصبحت الجزائر بمثابة سوق تصرف فيه البضائع الأوروبية ، استحوذت عليها اليد الأوروبية.
- تراجع واختفاء العديد من المحاصيل كالقمح والشعير.
- انتشار القروض الربوية بصفة كارثية أدت بإفقار وتشريد الجزائريين خصوصا بعد ارتفاع الضرائب بشكل كبير.
- ظهور طبقة البروليتارية وفئة الخماسين.
- انتشار المضاربة بشكل واسع في المواد الاستهلاكية بعد تزايد الحاجيات
- إنشاء البنوك وشركات الادخار التي وجهت خصيصا لخدمة المستوطنين الأوروبيين.
- اندثار الصناعات التقليدية والحرفية.
- انتشار الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية كالجراد والجفاف انعكست سلبيا على السكان.

- انهيار المداخيل المالية وانتشار ظاهرة الفقر والتسول⁵⁷ ، إن الاستعمار الفرنسي دقيق غاية الدقة بالنسبة لـ 90٪ من الجزائريين أنهم مطاردون من أرضهم مكسبون في أراضي غير صالحة مجبرون على العمل بأجور زهيدة وذلك لتثبيط عزائمهم كي لا يجروؤن على المقاومة خوفا من أن تشردهم فرنسا وتهجرهم وبالتالي يصبح المستعمر سيدا متربعا على عرشه يعز من يشاء ويذل من يشاء يعز القلة ويذل الكثرة ، وفي هذه السياق يقول وضع سارتر غرضه لكشف حقائق السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر قائلا: " هذه هي الصورة الحية فهل يمكن أن نجد على الأقل تعويضا عن هذا البؤس المنظم الذي خلفه المغتصبون الأوروبيون الذي يدعمهم الاستعمار ويفرض قوتهم على الجزائريين دون رحمة حتى ولو وجدت هناك إصلاحات"⁵⁸.

وبخصوص سياسة الإصلاحات الاقتصادية التي تبناها الاستعمار الفرنسي في الجزائر فيذهب سارتر في انتقاده لها بأنها غي كافية كون أن الجزائري يحتاج إلى كثير من الإصلاحات تشتمل مختلف الجوانب سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية ، وانتشالهم من البؤس والوضعية المزرية التي يعيشونها فمن المستحيل القيام بإصلاحات وتغييرات اقتصادية لأن بؤس الجزائريين جاء كنتيجة مباشرة لها يتطلبه الاستعمار والتي يستحيل

57 شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق ، ص 686.

58 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 16.

إزالتها مع استثمارية الاستعمار الذي يسعى إلى محاربة كل محاولة جدية للتنظيم السليم في المقابل يبقى ملتزما في قسوته وسياسته ألا إنسانية⁵⁹.

وهكذا ظلت جميع الإصلاحات عديمة الجدوى والتحقيق نتيجة لإرتفاع تكاليفها الباهظة وحين الحديث عن الاستعمار فيجب أن تكون هناك مناقشة فليست القضية قضية آلية مجردة فإن النظام قائم وهو يعمل ودوائر الاستعمار الجهنمية واقع ملموس يتمثل في مليون من المستعمرين الذين شبو في كنف الإستعمار فأصبحوا يتكلمون ويعملون وفق مبادئ النظام الإستعماري⁶⁰ ، وبالتالي يرى سارتر أن الإصلاح الوحيد الذي سيتحقق من غير شك ولكن الشعب الجزائري هو الذي سيحققه وأن الشيء الوحيد الذي يجب أن يقدم للجزائريين اليوم هو مؤازرتهم في جهادهم لتحريرهم وتحرير الفرنسيين من وصمة الاستعمار البغيض⁶¹.

3-3 محاربة الثقافة الجزائرية ومؤسساتها:

لقد عملت فرنسا بسط سياستها الاستعمارية وفق منظور استراتيجي أساسه تغيير المعادلة السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية الثقافية وإعادة صقل الجزائر وفق منظور غربي مسيحي فسعت لإبادة المجتمع الجزائري من خلال الاستيلاء على ممتلكاته وتفكيك بنيته وتركيبته من أجل إخضاعه نهائيا للسيطرة الأجنبية⁶² ، أما بخصوص الجانب الثقافي والسياسة التعليمية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي مع الجزائريين وهذا ما عبر عليه سارتر بقوله: "أما ثقافتنا فمن يدري إن كان الجزائريون المسلمون يرغبون حقا في اكتسابها ، ولن أذهب إلى أننا كنا في مثل وقاحة تلك الولاية من ولايات جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية التي شرعت قانونا ظل ساريا حتى مطلع القرن التاسع عشر تضع فيه تحت طائلة العقاب كل ما يقدم على تعليم العبيد والزواج القراء والكتابة ولكننا على كل حال أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعبا من الأميين بلغت نسبتهم 80٪ وفرضت عليهم تعليم اللغة الفرنسية وسد الطريق أمامهم تعلم التاريخ لأنه لا يخدم المشروع الاستعماري وتحريم تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية وجردتهم من هويتهم وحرمانهم من دينهم وأشرفت على شؤونهم الإسلامية وقامت بنشر الخرافات بين الجزائريين والعمل على تفرقتهم"⁶³.

59 المصدر نفسه ، ص19.

60 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 20.

61 المصدر نفسه ، ص27.

62 محمد رزيق ، الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1871-1830 ، ج2 ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ،

الجزائر ، 2022 ، ص299.

63 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص18.

بالتالي فقد كانت هذه السياسة إحدى الخطط التي انتهجتها فرنسا في مستعمراتها خصوصا الجزائر بهدف توطين نفوذها في الجزائر طيلة فترة الاحتلال وذلك بتبني سياسة ثقافية استعمارية تقوم على محاربة الثقافة المحلية للجزائريين عن طريق محاربة اللغة العربية وحصر الدين الإسلامي والتضييق عليه والعمل على تفكيك كل الرموز الثقافية ومؤسساتها بداية من تهديم المساجد والزوايا ومختلف المؤسسات التعليمية التي كانت تحتضن المقومات المجتمعية الجزائري نظرا لما لها من أهمية في حياة الشعب الجزائري،⁶⁴ وقد عملت الإدارة الفرنسية على عدم فصل الدين الإسلامي على الدولة وظل تحت راقبتها من أجل حرصها على عدم نشر الثقافة الإسلامية بين الجزائريين كي تحافظ على معتقداتها التي تخدم مشروعها الاستعماري⁶⁵ ومن هنا نلاحظ أن الاستعمار الفرنسي حاول إبعاد الإسلام عن ميادين الحياة فألقى التاريخ الإسلامي من مناهج التعليم وأقصى الشريعة الإسلامية والقضاء الإسلامي والتضييق على اللغة العربية، وعمل على نشر ثقافته الغربية القائمة على الإلحاد والفساد والتحرر من القيم والأخلاق.⁶⁶ وتحقيقا لرغبتها في القضاء على الدين الإسلامي نهائيا اتخذت السلطات الاستعمارية مجموعة من الإجراءات الفورية تمثلت في:

- الاستحواذ على مؤسسات الأوقاف وتحطيم المساجد وتغييرها بالكنائس
- الاستحواذ على ميزانية الديانة الإسلامية ،
- التدخل في جميع المناسبات الدينية المقامة داخل المساجد أو خارجه وإلزام الجزائريين على تقديم التراخيص لإقامة الحفلات الدينية وأداء الزيارات ومنعهم من أداء فريضة الحج.
- مارست فرنسا منذ الاحتلال سياسة طرقية واسعة النطاق وتقريب بعض الطرق الصوفية إليها وإضعاف ومحاربة من يعاديها منهم.
- السيطرة على مؤسسات الديانة الإسلامية ومحاربة تدريس اللغة العربية.
- نضب معيار الموارد المخصصة للتعليم بعد ضم المساجد والأوقاف إلى أملاك الدولة.

64 جمال مخلوفي ، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954 ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، 2019-2018 ، ص145.

65 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 19.

66 أحمد بالعجال ، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر ، السياسة التعليمية أنموذج ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، الجزائر ، المجلد 4 ، العدد 05 ، 2018 ، ص185.

- إهمال المدارس.
- إهمال الزوايا ومحاربتها والتضييق على نشاطها.
- نهج المراجع والمخطوطات القاعدية للتعليم.
- إنشاء معاهد فرنسية -عربية بداية من سنة 1858.
- وضع إصلاحات تعليمية تخدم المشروع الاستيطاني ولإدماجي.
- تطبيق المناهج التعليمية الفرنسية في الجزائر ومحاربة التعليم الحر والتقليدي
- محاربة المدارس القرآنية وتحطيمها.
- إدخال النظام الملائكي على التعليم الجزائري⁶⁷ ، وفي هذا السياق يقول سارتر: "لقد أقام الاستعمار سدا منيعا وأقام حائطا سميكاً فولاذياً بين المستوطنين وأهل البلاد الأصليين وقد لجأ إلى إبادةهم ومحو شخصيتهم من أجل تثبيت هيمنة فرنسا في الجزائر ، فلو كانوا لهم رغبة في تطوير الجزائر وتقديمها والإبقاء عليها لعملوا عليها ، تحذوهم مصالحهم الخاصة على الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والثقافية في الجزائر"⁶⁸.
- وحول انعكاسات هذه السياسة الإستعمارية يقول سارتر: لقد كان المستعمرون متفقين مع أنفسهم ومخلصين لنظامهم حين قوضوا نظام دعائم المجتمع الإسلامي ومنعوا حق التمثيل عن المسلمين لمنعهم من ضمان الحصول على حقوقهم الأساسية التي إن منحت لهم ستكون بمثابة الضربة القاضية للاستعمار في الجزائر وبالتالي فإن مواصلة الاستعمار لتعنته وتشبثه بمصالحه دون اكتراث لمصالح الجزائريين سينتج عنه ردود فعل تتمثل في وعي الجماهير التي اكتشفت شخصيتها الوطنية وأصبحت كرد فعل للتجزئة والنضال في سبيل الحياة ، وليست القومية الجزائرية مجرد إحياء للتقاليد والموضوعات والصلوات وإنما هي المخرج الوحيد الذي يسلكه الجزائريون لوضع حد للاستغلال الذي تعرضوا له"⁶⁹.

3-4 وسائل الاستعمار الجديد ومظاهره في مواجهة الثورة التحريرية:

حذر جان بول سارتر من وسائل الاستعمار الجديد التي تلجأ إلى تقسيم المستعمرين إلى فئتين الأولى صالحة والثانية طالحة شريرة والتي ينسب لها كل مظاهر الفساد الذي انتشر في مستعمراته ومنها الجزائر التي قام شعبها باتخاذ العنف الثوري سبيلاً لمواجهته واسترجاع كرامته وسيادته ، وقد رأت السلطات الاستعمارية أن مرد الثورة

67 للمزيد من التفاصيل أنظر الفصل السابع ، الحادي عشر ، الثاني عشر ، من كتاب شارل رويبر أجبرون ، المرجع السابق ، ص-ص 371-539-581.

68 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 24.

69 المصدر نفسه ، ص 25.

الجزائرية تكتمن أسبابها في المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفسانية⁷⁰، فلجأت إلى وضع إصلاحات تمس هذه الميادين⁷¹، وفي هذا الصدد يقول جان بول سارتر «لقد اتجهت السلطات الاستعمارية لمواجهة الوضع وتهديته من خلال معالجة هذه المشاكل الثلاثة التي ستجعل من الجزائري يتراجع على عنفه ضد السلطة الفرنسية، وقد رفضت فرنسا كل الطرق التي تحدث عن الانتخابات الحرة والجمعية التأسيسية والاستقلال الجزائري متهمة كل من يدعو إلى ذلك بالشغب وإثارة الفتن وعرقلة مساعيها في حل المشكلة الجزائرية⁷²».

وحسب ما شار إليه جان بول سارتر فإن تلك الحجج التي وضعتها الإدارة الاستعمارية ماهي إلا حجج باطلة مستشهدا بموقف جبهة التحرير الوطني بتشبهها باستمرارية الثورة حتى نيل الاستقلال ورأى سارتر في ذلك مشروعية ومنطق سليم كون الإنسان الجزائري يعيش تحت وطأة الاستعمار الذي سلبه كل حرياته وحقوقه وذهب إلى أن الإصلاحات الأساسية لا يمكن أن تكون على أيدي المستعمرين الصالحين ولا على يد فرنسا نفسها مادامت وجهتها هي المحافظة على سيادتها في الجزائر في المقابل أكد سارتر على أن الشعب الجزائري هو من ينهض بنفسه بعد استعادته لحريته ويكون مستقلا استقلالاً تاماً⁷³، وفي هذا السياق يقول سارتر: هذا ما أود أن تتعرفوا عليه فيما يتعلق بالجزائر التي هي مع الأسف العميق أبلغ مثال وأبرزه للنظام الاستعماري وهذا ما أريد تبليغه لكم على قسوة هذا النظام الذي لا بد أن ينتهي إلى هذه النهاية المفجعة" وقد تبرأ جان بول سارتر من تلك الأعمال الدنيئة التي قامت بها الدوائر الاستعمارية في الجزائر معترفا بأحقية الجزائريين في ثورتهم على هذا النظام الوحشي ورأى بأن ضرورة تحرير الجزائر من ذلك لا تكتمل إلا باكتمال تحرير فرنسا ذاتها من خلال القضاء على الاستعمار قضاء مبرماً⁷⁴.

وفي ختام انتقاده لمظاهر السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وجه سارتر رسالة شديدة اللهجة إلى الرأي العام الفرنسي تضمنت الدروس والنتائج التي توصل إليها

70 المصدر نفسه ، ص3.

71 من بين تلك الإصلاحات التي سنتها الإدارة الاستعمارية نجد إصلاحات الحاكم العام جاك سوستال سنة 1955 وإصلاحات الوزير المقيم روبر لاكوست سنة 1956 ، وإصلاحات الجنرال ديغول سنة 1958، لمزيد من التفاصيل حول ذلك ، أنظر ، محمد العربي الزبيري ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ج 2 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 1999.

72 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص3.

73 المصدر نفسه ، ص 4.

74 المصدر نفسه ، ص 5.

من خلال متابعته للتطورات التي تحدث في الجزائر منددا فيها بوحشية الاستعمار الفرنسي قائلا: «أم الدرس الوحيد الذي تعلمناه من هذه الدروس ، نحن فرنسي الوطن الأم فهو أن الاستعمار يعمل الآن على هدم كيانه ولكنه مزال مستمرا في تعكير الجو إنه عارنا ، وهو يتنكر لمبادئنا ويظهرنا بمظهر ساخر أمام العالم ، إنه ينشر بيننا وباء العنصرية ، وهو يفرض على شبابنا بذل حياتهم رغما عنهم من أجل مبادئ نازية نحاربها منذ عشر سنوات وهو يحاول أن يبرر أعماله الوحشية يخلق الفاشية في داخل بلادنا ، فرنسا ذاتها وأن مهمتها هي مساعدته على أن يلفظ أنفاسه الأخيرة لافي الجزائر وحدها بل في الأماكن كلها ، ولاشك أن الذين ينادون بالتخلي عن الجزائر هم أناس بلهاء فليس لنا أن نتخلى عما لا نملكه قط ، بل الأمر على العكس من ذلك هي إقامة مع الجزائر علاقات جديدة ، علاقات بين فرنسا الحرة والجزائر الحرة ونحذر كل الحذر من الخداع المغلف بالإصلاح الذي يحددنا على سبلنا ، إن الاستعمار الجديد هو إنسان يتخبط في متاهات الظلال مادام أنه يعتقد في الإمكان تحسين النظام الاستعماري أو هو إنسان يتسم باللؤم والمنكر فهو يقترح إصلاحات لأنه على يقين من أنه لا فائدة من ورائها لصالح الجزائريين⁷⁵.

وفي الأخير يذهب سارتر في تحليله لأسباب اندلاع الثورة الجزائرية وتكذيب ما تروجه الدعاية الفرنسية حيث يرى ان اندلاع الثورة جاء كنتيجة نتيجة للاستغلال الاستعماري الذي استخدم كل الوسائل من أجل تثبيت مشروعه في الجزائر من خلال حملة الإبادة وتهجير الجزائريين والتخلص من ثقافتهم وجعلهم في أدنى الدرجات بهدف السيطرة واستغلالهم واستغلال ثرواتهم على حساب يؤسهم مما نتج عنه تلك الثورة المشروعة من أجل إستعادة حريتهم وسيادتهم الوطنية⁷⁶.

5-3 جرائم التعذيب الفرنسي في الجزائر:

منذ أن وطأة أقدام الاستعمار الفرنسي الأرض الجزائرية لجأ قادته ومنظروه إلى تبني سياسة الحرب الشاملة وانتهاج سياسة الأرض المحروقة ، فسعوا إلى تدمير المداشر وإبادة السكان ، صلب الرجال ، قطع الرؤوس ، التنكيل بالجثث وبقر بطون الحوامل حيث أيدت أعراش بأكملها وشردت عائلات ونفبت وهجرت قسرا إلى أماكن بعيدة ومتعددة⁷⁷. وإدراكا منه لبشاعة تلك الجرائم الممارسة في حق الشعب الجزائري ومن أجل إقناع الرأي العام الفرنسي لمناهضتها أستدل سارتر بكتاب موسوم بعنوان شهود من المجندين

75 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 26.

76 المصدر نفسه ، ص 57.

77 سعدي بزيان ، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005 ، ص 22.

من كهنة ورجال دين تضمن بيانات ووثائق حول الوضع السائد في الجزائر، ورغم الاختلاف بين هؤلاء في آراءهم وعدم ذكرهم للتفاصيل حول الشؤون السياسية إلا أنهم قدموا معلومات مهمة حول الداء الذي أصاب الجيش الفرنسي وممارسته الدكتاتورية العنيدة وأساليبه الوحشية القاسية حيث تسلب الأموال وتنتهك أعراض النساء وينتقم من المدنيين بممارسة إبادة الجنس وقتل الجماعات دون أدنى محاكمة ويستعملون أبشع أدوات التعذيب في استجواباتهم لإدلاء باعتراف أو تقديم معلومات وقد فضح هؤلاء المجندين كل تلك الجرائم والممارسات الدنيئة التي يقوم بها الاستعمار في حق الشعب الجزائري⁷⁸، فقد شكل الاستعمار الفرنسي بها وظفه من أساليب وحشية وبربرية وصمة عار في جبين الفرنسيين نظرا لما اتسمت به أعماله الدنيئة من خلال الممارسات التي طبقت على الشعب الجزائري من أجل تثبيت المشروع الاستيطاني وإخضاع الجزائر نهائيا للسلطة الفرنسية⁷⁹.

وبناء على ذلك وجه سارتر رسالة للرأي العام الفرنسي يدعوهم فيها إلى ضرورة التحرك ضد تلك الجرائم الوحشية قائلا: "ولكننا ندلي بأصواتنا وفي أيدينا السلطات ونستطيع بطريقة ما أن نسحبها فإن ثورة الرأي العام تستطيع أن تسقط الوزراء وينبغي أن نكون على علم بالجرائم التي ترتكب باسمنا حتى نستطيع إيقافها وهذا الشعور بالذنب الذي يرقد في نفوسنا من غير أن يتحرك ينبغي أن نضعه في حسابنا وأن نذل ونسفل لكي نستطيع احتمالته"⁸⁰.

ولإنجاح مخططاتها الرامية للقضاء على الثورة التحريرية طبقت الإدارة الإستعمارية الفرنسية الكثير من الأساليب واستعملت العديد من الوسائل سواء خلال بداية الاحتلال وتوسعه أو أثناء مواجهتها للثورة التحريرية، حيث أصبح التعذيب الذي حدث في الجزائر ممنهجا ومسطرا في أشكاله وأساليبه حتى أصبح فنا دقيقا كالضرب والرفس وتسليط

78 حول أهمية هذه الشهادات يقول سارتر: إن هذه الشهادات العادلة المنصفة تؤلف وثيقة رهيبة وأن قراءتها أمر عسير فمطالبها يغالب نفسه من أجل الانتقال من سطر إلى سطر ومن فقرة إلى فقرة لشدة بشاعة وهول تلك الجرائم، أنظر، جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 28.

79 قاصري محمد السعيد: جرائم جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر أثناء عمليات التوغل العسكري 1830-1870، مجلة البحوث التاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، المجلد 1، العدد 02، 2017، ص 174.

80 جان بول سارتر، المصدر السابق، ص 29.

الكلاب لنهش الأجسام والتعليق والغطس في المياه والحرق الجسدي والتعذيب بالكهرباء والأعمال الشاقة وغيرها⁸¹.

وقد أثارت سياسة الكتمان التي تمارسها فرنسا حول جرائمها في الجزائر وإخفاء حقائقها الغضب لدى سارتر حيث وصفها بالانحطاط الأخلاقي الممهد لقتل المعنويات معتبرا إياها بالمغامرة الحفيرة تسعى من خلالها فرنسا إلى تحيد الرأي العام الفرنسي خشية التدخل في سياستها بالجزائر والقيام بالمظاهرات ضد ذلك⁸²، وقد نجح المستعمر الفرنسي في جعل الرأي العام غير مبالي بما يحدث في الجزائر، في المقابل نجد الجزائريين متشبهين بكفاحهم وجهادهم ضد أولئك الجلادين المستمرين في مواصلة جرائمهم، ويضيف سارتر بأنه عندما يتجرأ أحد من المواطنين الفرنسيين على كشف ذلك ويستفيق من غفلته يلجأ الاستعمار إلى تبني سياسة الهروب إلى الأمام من خلال تبنيه لحيل جديدة وفق دعاية مضادة للحقائق التي تتناقضها الصحف والمنشورات والشهادات المتنوعة حول الوضع بالجزائر وذلك من أجل ابقاء الرأي العام الفرنسي يغط في سباته وتحيده عما يقع من تصرفات جبانة ووحشية في الجزائر⁸³، وذلك بواسطة جره إلى الأخذ بأكاذيب السلطة الإستعمارية التي تجعله يبتعد كل البعد على محاولاته من أجل تقصي تلك الحقائق المرة حول ما تقترفه بلاده من جرائم وإبادة في حق الشعب الجزائري⁸⁴.

كما نجحت السلطات المدنية والعسكرية في استغلال المستوطنين لتأييدهم في مشروعاتها المتعلقة بالتعذيب وجعلتهم أداة من أدواتها في ذلك ليفرض التعذيب نفسه حتى أصبح أمرا مألوفا وعاديا بالنسبة لهم⁸⁵، ونتيجة لبشاعة تلك الجرائم الفرنسية في الجزائر، أكد سارتر على ضرورة التعجيل بالاعتراف الفرنسي بحقوق الشعب الجزائري وأن كل تلك الإصلاحات واللجان الخاصة المكلفة بالتحقيق من أجل التقليل من تلك الأعمال الإجرامية لا فائدة ترجى منها كما أن كل النتائج التي ستصل إليها ستبقى مجرد حبر على ورق⁸⁶، ورغم ذلك إلا أن عمليات التعذيب الممارسة ضد الشعب الجزائري سرعان ما حركت ضمائر شريحة واسعة من المثقفين والسياسيين والطلبة والنقابات والعمالية والصحافية والهيئات الدولية والغير الحكومية حيث استنكروا ونددوا بتلك الجرائم

81 سليم بعلوج، التعذيب في فلسفة الاستعمار الفرنسي بالجزائر 1954-1962 المبدأ والممارسة، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، المجلد 03، العدد 03، 2021، ص 174.

82 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 30.

83 المصدر نفسه، ص 31.

84 المصدر نفسه، ص 32.

85 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 57.

86 المصدر نفسه، ص 34.

والممارسات الفرنسية في الجزائر التي لا تمت بصلة لحقوق الإنسان التي تحرم مثل هذه الأفعال⁸⁷.

بالتالي دعا سارتر الرأي العام الفرنسي إلى ضرورة عدم تجديد الثقة في الحكومة الفرنسية التي فقدت نزاهتها واصفا ممثليه بالمجرمين جعلوا من الشعب الفرنسي فريسة لاضطرابهم مما يحدث من جرائم وإعدامات وإبادات في الجزائر⁸⁸، وفي هذا السياق قارن جان بول سارتر وضعية الشعب الجزائري التي أصبحت في سنة 1958 تتعرض لأشد أنواع التعذيب بشكل منظم ومستمر، خصوصا وأن الكل على علم بما يحدث سواء السلطات الرسمية أو الشعب الفرنسي بكل أطرافه ولا يستطيع أحد الحديث أو يخوض في ذلك، بوضعية الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية الذين كانوا يعانون من القلق والألم وكانوا ينظرون إلى أن إيصال وضعيتهم القاسية إلى العالم أمر شبه مستحيل⁸⁹.

وقد ذهب سارتر في وصفه للصمت الذي ينتاب الرأي العام الفرنسي كونه سقط ضحية لها يقترب من جرائم في الجزائر باسمه فإنه كذلك يلعب دور الجلاد في نفس الوقت ذلك أنه بقي موقف المتفرج ولم يسعى إلى تغيير شيء وأقرو بعجزهم عن التغيير محتفظين بالصمت وبالتالي أوجب سارتر على الاكتفاء بلعب أحد الأدوار وعدم الازدواجية فعدم التحديد يثقل كاهلهم وبسببه سيكونون الجرح والسكين معا فالهلع أن تكون السكين والفرع أن تصيح الجرح⁹⁰.

هذا وقد استاء سارتر من حالة الصمت التي يعيشها الرأي العام الفرنسي تجاهها يحدث في الجزائر الشيء الذي جعله يكرر توجيه رسائله إليهم يحثهم فيها للخروج عن صمتهم ودعاهم إلى ضرورة التحرك وإسماع صوتهم والوقوف ضد بشاعة الجرائم التي تمارسها فرنسا في الجزائر والتي أصبح الجميع يعرفها وفي هذا السياق يقول سارتر "إن الأمر يتعلق بنا اليوم ونحن بحاجة إلى أن نعرف وأن نصدق أنكم وحدكم بيدكم خلاصنا من هذا الكابوس الجاثم على صدورنا وإنقاذنا من هذا العار الذي الصق بنا، ولكنكم وأسفاه ساكنون سكون القبر، وإنه لا تقدير خاطئ إلا أن يحكم علينا من صمتكم اليوم، يؤدي بوضعنا في مأزق حقير وفي موضع سبق لنا أن تصدينا له نحن بأنفسنا، إنها براءة

87 نور الدين عسال، المواقف المختلفة من التعذيب الاستعماري الفرنسي أثناء حرب التحرير 1954-1960، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر، المجلد 03، العدد 01، 2012، ص 271.

88 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 35.

89 المصدر نفسه، ص 40.

90 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، المصدر السابق، ص 42.

مصطنعة وهروب من الحقيقة ومجاملة مردوله ، وعزلة رهيبية وصمت مطبق ومشاركة في الجرم مرفوضة ومقبولة يتحملها الجميع.⁹¹

إلى جانب ذلك يرى سارتر بأن التزام الصمت مع ما يقع في الجزائر يجبر على التخلي على إنسانية الشعب الفرنسي وتحولها إلى التساوي مع درجة الحيوانية وأن مجرد المحافظة على الإنسانية جهد مضيق للوقت خصوصا بعد محاولة المستعمرون احتواء الرأي العام الفرنسي وتحيدهم على التفاعل مع القضية الجزائرية فسكوت الرأي العام الفرنسي حول ذلك لا يعتبر أنه قبول لما يحدث في الجزائر ، وإن صمتهم مرده إلى الكابوس الذي يضمونه وبجسمونه وبوجهونه رواد الاستعمار.⁹²

ويضيف سارتر قائلا: إنه لم يفت الأوان بعد لإحباط عمل هؤلاء الذين دأبوا على هتك شرفنا القومي وتلويث سمعتنا ولايزال من الممكن تحطيم الدائرة الجهنمية التي أغلقت علينا من طرف مسؤولين غير مباشرين بهذه السذاجة الخبيثة ، فلننظر إلى الحقيقة فهي التي ستمكن كلامنا من أن يعمل علانية على وقف الجرائم المقترفة وإما أن تبناها ونرضي عنها ونحن بكامل وعينا⁹³ ، ومن أجل ذلك أصبح الأمر إلزاميا على سارتر لإرشاد الجمهور وتوجيههم إلى الكتابات التي وردت فيها الحقائق المرة والمفزعنة بهدف أن يتخلص الرأي العام الفرنسي منها والقضاء على الاستعمار الفرنسي ومظاهره قضاء نهائيا.⁹⁴

ولتأكيد الواقع المزرى الذي يتعرض له الشعب الجزائري من جراء التعذيب الذي يفرضه الاستعمار أستدل بإحدى الكتابات التي تروي ذلك يعود لصاحبه هنري علاق الموسوم بالاستجواب الذي يروي فيه بدقة تفاصيل أنواع الاضطهاد والتعذيب التي تمارسه فرنسا في سجونها بالجزائر⁹⁵ ، وعن تأثير كتاب هنري علاق في نفسية سارتر يقول: لقد كنت من ناحيتي أعكف على القراءة لأن واجبي يدفعني إلى ذلك وكنت أنشر أحيانا بعض ما أكتب وكنت أنظر بعين الاحتقار إلى هذه القصص التي تضعنا في قفص الاتهام من غير مشقة ولا رحمة والتي لم تسكن تترك لنا أي بصيص أمل ، أما مع كتاب الاستجواب فإن

91 وقد أشار الجنرال بول أوساريس إلى نماذج من الجرائم التي تم ممارستها من طرف وحدات الجيش الفرنسي ضد الجزائريين المعتقلين كالشهيد العربي بن مهيدي والمحامي على منجلي وغيرهم ممن أخضعوا لأشد أنواع التعذيب والاضطهاد الفرنسي ، للمزيد أنظر ، الجنرال أوساريس ، شهادتي حول التعذيب (مصالح خاصة الجزائر) ، 1957-1959 ، ترجمة: مصطفى فرحات ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2007.

92 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 43.

93 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 38.

94 المصدر نفسه ، ص 39.

95 المصدر نفسه ، ص 44.

كل شيء تبدل ، إن هنري علاق وفر علينا مضاضة اليأس وحمرة الخجل لأنه ضحية ولأنه كان فوق مستوى العذاب او فوق مستوى البشر ، وهذا التحول لا يتم من غير روح السخرية والحزن ، لقد تم تعذيبه باسم الشعب الفرنسي لقد حاول علاق إيصال رسالة من خلال كتابه هذا للشعب الفرنسي ليستفيق من سباته الذي يقوده إلى الحيوانية جراء وقوفه وقفة المتفرج بما يحدث في الجزائر من جرائم وحشية ، إن الاستجواب لم يكن إلا جريمة خسيصة بشعة ارتكبتها مجرمون ضد أناس آخرين ، إن انعدام الإنسانية لا يوجد في أي مكان إلا في ظل الكابوس الجاثم على صدورنا المتولد من الخوف والحق أن شجاعة هنري علاق كانت السبيل في صحتنا استكشفت حقيقتنا ، من أجل إنهاء ذلك العار والقضاء عليه نهائيا⁹⁶ ، ويضيف سارتر قائلا: يجب الاعتراف بالجميل لما قدمه هنري علاق وصلابته في مقاومة التعذيب وعدم إبداء خوفه وانتصر لإنسانية الضحايا والمستعمرين ضد العنف المحموم الذي ينطوي عليه الاستعمار من عسكريين ومدنيين التي تغذيها العنصرية وبالتالي فإن شهادته بددت الكثير من الأوهام التي ظلت راسخة في عقول العديد من الفرنسيين⁹⁷.

وقد ذهب سارتر في نظره للتعذيب بأنه ليس مقتصرًا على السلطة العسكرية فقط بل يتعد ذلك إلى السلطات المدنية كذلك كما انه موجود كذلك في المتروبول وليس محصور في الجزائر فقط حيث وصفه قائلا " انه داء العصر هذا التعذيب الذي يتوارى بميوعة وراء ستار الديمقراطية ويتطبق بانتظام فليس على الفرنسيين العودة إلى مشاهد التعذيب التي انتشرت في مختلف دول العالم بل عليهم الاكتفاء بمشاهدته من خلال ما تقوم به دولتهم في الجزائر ومحاولة تنظيفه وتصفيته بعدم تصديق التبريرات التي تحاول إنصاف الجلادين وتشويه صورة من وقعوا تحت التعذيب كهنري علاق وموريس اودان معتمدين في ذلك حجج دون أدلة وبراهين قاطعة⁹⁸.

ومن أجل وقف تلك الجرائم الفرنسية الاستعمارية في الجزائر نجد سارتر قدم وجهة نظره للكيفية الهائلة لحل المشكلة الجزائرية والتي ختم فيها كتابه الذي شرح فيه صورة الاستعمار بكل مظاهره وصوره من أجل كسب تأييد الرأي العام الفرنسي وتعاطفه مع الشعب الجزائري حيث يقول: وإذا كنا نريد وقف تلك الأعمال الإجرامية التي تنفر منها الإنسانية ، وأن تنتشل فرنسا وصمة العار وتنقذ الجزائريين من هذا العذاب الوحشي

96 المصدر نفسه ، ص 45.

97 المصدر نفسه ، ص 58.

98 جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، المصدر السابق ، ص 51.

فليس هناك إلا سبيل واحد هو فتح باب المفاوضات على مصراعيه والدخول إلى السلام من اوسع ابوابه⁹⁹.

الخاتمة:

في الأخير وبناء على ما سبق ذكره نستنتج ما يلي:

- مثلت شخصية الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر إحدى الوجوه الفرنسية المثقفة التي إلتزمت بمواقفها تجاه القضية الجزائرية والوقوف إلى جانب ثورة الشعب الجزائري مع التنديد بالإمبريالية الفرنسية ومشاريعها الإجرامية في الجزائر.
- لقد شكلت كتابات الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر نموذجا مهما في كشف جوانب ومظاهر السياسة الفرنسية الاستعمارية الوحشية في الجزائر والتنديد بها ودعوة الرأي العام الفرنسي بالضغط على السلطات المدنية والعسكرية الفرنسية لتقويضها وإنهاءها في كل صورها وأشكالها وأساليبها.
- من بين مظاهر السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر التي رصدها جان بول سارتر وسلط الضوء عليها وندد بها من خلال كتابه عارنا في الجزائر ، مصادرة ممتلكات الشعب الجزائري وتشجيع الاستيطان ومحاربة الثقافة الجزائرية ونهب الثروات الجزائرية وتحويلها لخدمة الاقتصاد الرأسمالي الفرنسي وإبادة المجتمع الجزائري سواء بالنفي والتهجير والذي سلطت عليه أشد انواع التعذيب المادي والمعنوي بهدف إخضاعه للسيطرة الأجنبية تسهيلا لتثبيت المشروع الاستعماري الاستيطاني في الجزائر.
- لقد وقف جان بول سارتر بعد تحليله لمختلف مظاهر السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر موقف المندد والرافض لها نظرا لبشاعتها وانعكاساتها السلبية على واقع الشعب الجزائري وقد دعا السلطات المدنية والعسكرية الفرنسية باتخاذ حلول فورية لإنهاء أعمالها الإجرامية بالجزائر التي تلوث تاريخ فرنسا وطالبها بضرورة التعجيل بفتح المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني وإيجاد حلول سلمية تنهي الاستعمار الفرنسي بكل صوره وتعيد للجزائريين حريتهم المغتصبة وسيادتهم المسلوبة.
- فند جان بول سارتر من خلال كتاباته كل الادعاءات التي وجهتها السلطات الاستعمارية الفرنسية لتشويه الثورة الجزائرية مؤكدا على مشروعيتها نظرا لما تحمله من قيم رافضة للاستمرار النظام الاستعماري الفرنسي ودعوتها للقطيعة النهائية معه باستخدام كل الوسائل بهدف تحقيق مشروعها القائم على استعادة حرية الشعب الجزائري وسيادته الوطنية ومحاربتها للإمبريالية في كل بلدان العالم.

99 المصدر نفسه ، ص 59

- عبر جان بول سارتر على رفضه القطعي تجاه كل تلك الإصلاحات التي تبناها الاستعمار الفرنسي في الجزائر ووصفها بأساليب الاستعمار الجديد، وحسب رؤيته فإن الإصلاحات الوحيدة الناجحة التي تكون في خدمة الجزائر وشعبها هي التي يتبناها الشعب الجزائري بنفسه دون تدخل أو مشاركة أي سلطة أجنبية.
- وجه جان بول سارتر من خلال كتابه الموسوم بعارنا في الجزائر الكثير من الرسائل للرأي العام الفرنسي خصوصا النخب المثقفة منه لتستيقظ من سباتها وتتحد من أجل تصفية الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر واستعادة شرف فرنسا الذي لطخه رواد الاستعمار الفرنسي من خلال أعمالهم وأساليبهم الإجرامية في الجزائر.
- اتخذ جان بول سارتر من خلال تتبعه وكشفه لمختلف مظاهر وأساليب السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر نموذجا ودليلا قاطعا لإقناع الرأي العام الفرنسي من أجل الوقوف ضد تلك الأعمال الإجرامية الممارسة ضد الشعب الجزائري ودعوتهم للالتفاف مع قضيتهم التحررية التي تهدف إلى القضاء على الإستعمار الفرنسي في كل أشكاله ومظاهره بالجزائر.
- لقد التزم جان بول سارتر بمواقفه الإنسانية تجاه القضية الجزائرية سواء من خلال كتاباته ومنشوراته أو بمشاركته في مختلف التظاهرات والمظاهرات وذلك كله من أجل دعم الثورة التحررية لبلوغ أهدافها وتحقيق مشروعها الرامي لاستعادة الشعب الجزائري لحريته وسيادته الوطنية وإنهاء الوجود الاستعماري الفرنسي بها نهائيا.
- استغل جان بول سارتر الكثير من الكتابات والشهادات التي تكشف حقائق مظاهر السياسة الإستعمارية في الجزائر التي تحجبها السلطات الوصية بدعوة تحيدها للرأي العام الفرنسي عن تعاطفه مع القضية الجزائرية وبالتالي كانت شهادات أولئك المجندين العائدين لفرنسا وكتابات هنري علاق التي تضمنت الممارسات الإجرامية الفرنسية في الجزائر كنماذج لإقناع النخب الفرنسية المثقفة ودعوتها للالتفاف من أجل التصدي لتلك الأساليب الوحشية والمطالبة بضرورة التعجيل بإيجاد حل سلمي للمشكل الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر.

1. جان بول سارتر ، الاستعمار الجديد ، ترجمة عائدة مطر ، سهيل إدريس ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط 2 ، 1996.
2. (-----) ، الأيدي القدرة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ.
3. (-----) ، الهادية والثورة ، ترجمة عبد المنعم خفير ، مكتبة راديو ، ط 3 ، 1977.
4. (-----) ، الوجود والعدم ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دار الآداب ، بيروت 1996.

5. (-----)، عارنا في الجزائر، ترجمة سهيل إدريس عايدة مطر، دار الآداب، بيروت، 1963.
 6. (-----)، مواقف مناهضة للاستعمار، ترجمة محمد معراجي، مراجعة أحمد معراج، المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والإشهار الجزائر، 2007.
 7. الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب (مصالح خاصة الجزائر)، (1959-1957) ترجمة مصطفى فرحات، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
 8. فرانتر فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي، جمال الأتاسي، مدرات للأبحاث والنشر، مصر، ط 2، 2015.
 9. هنري علاق، مذكرات جزائرية، ترجمة جناح مسعود، عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- ثانيا: المراجع.**
1. أحمد بالعجال، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، السياسة التعليمية نموذجا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، المجلد 4، العدد 05، 2018.
 2. بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بوجو إلى الجنرال أوساريس، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
 3. جمال مخلوفي، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018-2019.
 4. حياة فنون، الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر، مجلة الحوار المتوسطي جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 3-4، 2012.
 5. سليم بعلوج، التعذيب في فلسفة الاستعمار الفرنسي بالجزائر 1954-1962 المبدأ والممارسة، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، الجزائر، المجلد 03، العدد 03، 2021.
 6. سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1973.
 7. سيمون بير هنري، ضد التعذيب في الجزائر، ترجمة بهيج شعبان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ت.
 8. شارل رويبر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج 01، ترجمة مسعود حاج مسعود، أحمد بكلي، دار الكتاب، الجزائر، 2007.
 9. صالح حيمر، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر (1830-1930)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والأثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.
 10. طالب مناد، الفكر السياسي عند سارتر والثورة الجزائرية، دار خطاب الجزائر، 2016.
 11. عبد الحكيم رواحنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1830-1930، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013-2014.

12. عبد الحميد زوزو ، الدوى السياسي للهجرة الجزائرية إلى فرنسا بين الحريين 1939-1914 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.
13. عبد المجيد عمراني ، جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، مكتبة مدبولي ، مصر ، د.ت.
14. عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962 ، ج1 ، دار المؤلفات للنشر والتوزيع ، المسيلة ، الجزائر ، ط1 ، 2013
15. قاصري محمد السعيد: جرائم جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر أثناء عمليات التوغل العسكري 1830-1870 ، مجلة البحوث التاريخية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، المجلد 1 ، العدد 02 ، 2017.
16. كاثرين موريس ، جان بول سارتر ، ترجمة أحمد علي بدوي ، دار أفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2011.
17. محمد رزيق ، الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1871 ، ج2 ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2022.
18. نور الدين عسال ، المواقف المختلفة من التعذيب الاستعماري الفرنسي أثناء حرب التحرير 1954-1960 ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر الجزائر ، المجلد 03 ، العدد 01 ، 2012.